

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[568] أعين يبصرون بها ، ولهم آذان يسمعون بها . فتقول الآية الأولى: (فإنك لا تسمع الموتى) ولذلك لا تؤثر مواعظك في أصحاب القلوب الميتة . وكذلك (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) . وتأتي الآية الثانية لبيان بقية الطوائف فتقول: (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) . وكما قلنا من قبل ، فإن القرآن لديه ما هو أفضل من "الحياة والموت الماديين والجسمانيين" وأفضل من السمع والبصر الظاهريين فلديه نوع اسمى من هذه الحياة والموت والسمع والبصر ، وتكمن فيها سعادة الإنسان أو شقاؤه ! فالقرآن لديه معيار لتقييم هذه الأمور ، لا بالقيمة المادية والفيزيائية ، بل القيمة المعنوية والإنسانية . والشرط الأول لإدراك الحقيقة أن يكون للإنسان قلب مهياً ومستعد ، وعين باصرة وأذن سمیعة ، وإلا فلو اجتمع جميع الأنبياء والأولياء وتلوا جميع الآيات الإلهية على من لا يدرك الحقيقة لما اقترفه من الذنوب واللجاجة والعناد ، فإنها لن تؤثر فيه ! . وإنما أشار القرآن إلى هاتين الحاستين الظاهرتين ، بالإضافة إلى الإدراك الباطني فحسب ، فلأجل أن أكثر معلومات الإنسان ، إمّا أن يكون عن طريق هاتين الحاستين [العين والأذن] ، أو عن طريق الوجدان والتحليل العقلي والطريف هنا أن المراحل الثلاث – الواردة في الآيات الآتية الذكر – هي ثلاث مراحل مختلفة من الانحراف وعدم درك الحقيقة ، وهي تبدأ من شديدها وتنتهي بالخفيف منها ! فالمرحلة الأولى: هي موت القلوب المعبر عنها بـ "الموتى" وهذه المرحلة ليس للحقيقة أي طريق للنفوذ فيها .